مُلَيح بْنُ عروة أن يَقْضِيَ عَنْ أبيه عُرْوَةَ دَيْناً كَانَ عليه مِنْ مَالِ الطاغيةِ، فقال له رسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ» فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسولَ اللَّهِ، فاقْضِهِ، وَعُرْوَةُ والأسود أخوان لأب وأم، فقال رسولُ الله ﷺ: «إن الأسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكاً» فقال قارب لرسولِ اللَّهِ ﷺ: يا رسولَ اللَّهِ، لكن تَصِلُ مسلماً ذا قرابةٍ، يَعْنِي: نَفْسَهُ، إنَّمَا الدَّيْنُ عَلَيَّ، وَإنما أنَا الَّذِي أُطْلَبُ به، فَأَمَرَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيان أن يَقْضِي دَيْنَ عروةَ والأسودِ مِنْ مَالِ الطاغيةِ.

فَلَمَّا جمعَ المغيرةُ مَالَهَا قال لأبي سفيان: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أَمَرَكَ أن تَقْضِيَ عن عروةَ والأسودِ دَيْنَهُمَا، فَقَضَىٰ عنهما.

كتاب رسول الله:

وكان كتابُ رسولِ الله ﷺ الذي كتب لهم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إلَى الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ عِضَاهَ[1] وَجٍ[2] وَصَيْدَهُ لاَ يُعْضَدُ[3]، مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ فَإنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ، فَإنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّداً، وَإنَّ هٰذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (٢٥٩/ب) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكتب خالد بن سعيد بأمرِ الرسولِ محمد بن عبد الله، فَلاَ يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَه بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» [١٠٩١].

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بِالنَّاسِ، سَنَةَ تِسْعٍ

واختصاصُ النبيِّ ﷺ عليَّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) بتأديةِ أَوَّلِ «براءةٍ» عنه، وذكر «براءة»، وَ «الْقَصَص» في تفسيرها.

قال ابن إسحاق: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ بقيةَ شَهْرِ رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجِّ من سَنَةِ تِسعٍ؛ لِيُقِيمَ للمسلمين حَجَّهم، والناسُ مِنْ أهلِ الشركِ على مَنَازِلِهِمْ من حَجِّهم؛ فَخَرَجَ أبو بكر (رضي الله عنه) ومن معه مِنَ المسلمين،

[١٠٩١] ينظر «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٩٩) و«الدرر» في «اختصار المغازي والسير» (ص ٣٠٢) و«البداية والنهاية» (٥/ ٤٠ـ٤١).

---

(١) العِضَاهُ: شَجَرٌ له شَوْكٌ وهو أنواعٌ، واحِدَتُه: عِضَه.
(٢) وَجٌ: اسمُ مَوْضِعٍ بالطَّائف.
(٣) لا يُعْضَدُ، أي: لا يُقْطَع، يُقَالُ: عَضَدْتُ الشَّجَرَةَ: إذَا قَطَعْتَهَا.

وَنَزَلَتْ «بَراءةٌ» في نَقْضِ ما بين رسولِ اللَّهِ ﷺ وبين المشركين مِنَ العَهْدِ الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أَنْ لا يُصَدَّ عن البيتِ أَحَدٌ جَاءَهُ، وَلاَ يُخَافَ أَحَدٌ في الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَكَانَ ذَلك عَهْداً عَامًّا بينه وبين الناسِ من أهلِ الشِّرْكِ، وكانت بين ذلك عهودٌ بين رسولِ اللَّهِ ﷺ وبين قَبَائِلَ من العربِ خصائص إلى آجالٍ مُسَمَّاة، فَنَزَلَتْ فيه وفيمن تَخَلَّفَ من المنافقين عنه في «تبوك»، وفي قول مَنْ قال منهم، فَكَشَفَ اللَّهُ (تعالى) فيها سَرَائِرَ أقوام كانوا يَسْتَخْفُون بغير مَا يُظْهِرُون: منهم من سُمِّي لنا، ومنهم مَنْ لَمْ يُسَمَّ لنا فقال (عَزَّ وجلَّ): ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [براءة: ١] أي: لأهلِ العهدِ العامِّ من أهل الشرك، : ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [براءة: ٢،٣] أي: بعد هذه الحجة، ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [براءة: ٣، ٤] أي: العهدَ الخاصَّ إلىٰ الأجلِ المسمَّىٰ ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [براءة: ٤، ٥] يعني: الأربعةَ التي ضَرَبَ لهم أجلاً ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [براءة: ٥، ٦] أي: من هؤلاءِ الذين أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِمْ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [براءة: ٦] ثم قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [براءة: ٧] الَّذِينَ كَانُوا هم وأنتم على العهدِ العامِّ أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم في الحرمَةِ ولا في الشهرِ الحرام ﴿عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [براءة: ٧] وهي قبائلُ من بني بكر الذين كانوا دَخَلُوا في عَقْدِ قريشٍ وَعَهْدِهِمْ يَوْمَ الحديبية إلى المدَّةِ التي كانت بين رسولِ اللَّهِ ﷺ وبين قريش، فلم يكن نَقَضَهَا إلاَّ هذا الحيُّ من «قريش» وبنو الديل من بني بكر بن وائل الذين كانوا دَخَلُوا في عَقْدِ «قريش» وعهدهم، فَأَمَرَ بإتمام العَهْدِ لمن لم يَكُنْ نَقَضَ مِنْ بَنِي بكر إلى مُدَّتِهِ ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [براءة: ٧]، ثم قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ [براءة: ٨] أي: المشركون الذين لا عَهْدَ لهم إلىٰ مُدَّةٍ من أهلِ الشركِ العامِّ: ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [براءة: ٨] (٢٦٠/أ) [١٠٩٢].

[١٠٩٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٩٣) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٤٤).

قال ابن هشام: الإلُّ: الحِلْفُ، قال أوْسُ بن حَجَرٍ أَحَدُ بَنِي أسيد بن عمرو بن تميم [من البسيط]:

لَـوْلاَ بَـنُـو مَـالِـكٍ وَالإلُّ مَـرْقَـبَـةٌ وَمَـالِـكٌ فِـيـهِـمُ الآلاءُ وَالـشَّـرَفُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وجمعه آلاَلٌ؛ قال الشاعر [من الوافر]:

فَـلاَ إلٌّ مِـنَ الآلاَلِ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكُـمُ فَـلاَ تَـأْلُـنَّ جَـهْـداَ[2]

والذِّمَّةُ: العَهْدُ؛ قال الأجدعُ بْنُ مالك الهمداني، وهو أبو مسروق بن الأجدع الفقيه [من الطويل]:

وَكَـانَ عَـلَـيْـنَـا ذِمَّـةٌ أَنْ تُـجَـاوِزُوا مِـنَ الأَرْضِ مَـعْـرُوفـاً إِلَـيْـنَـا وَمُـنْـكَـراَ

وهذا البَيْتُ في ثلاثة أبياتٍ له، وَجَمْعُهَا ذِمَم.

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ ﴾ أي: قد اعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١ ﴾ [براءة: ٨، ١١].

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيْف، عن أبي جعفر محمد بن علي (رضوان الله عليه)، أنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ «براءة» على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد كان بَعَثَ أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لِيُقِيمَ للناسِ الحجَّ، قيل له: يا رسولَ اللَّهِ، لو بَعَثْتَ بها إلىٰ أَبِي بَكْرٍ، فقال: «لا يُؤَدِّي عَنِّي إلاَّ رَجُلٌ مِن أَهْلِ بَيْتِي» ثم دَعَا عَلِي بْنَ أبي طالب (رضوان الله عليه)، فقال له: «اخْرُجْ بِهٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلاَ يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ» فَخَرَجَ علي بن أبي طالب (رضوان الله عليه) على نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَضْبَاء حتى أَدْرَكَ أبا بكرٍ بالطريق، فَلَمَّا رآه أبو بكر بالطريق قال: أَمِيرٌ أو مَأْمُورٌ؟ فقال: بَلْ مَأْمُورٌ، ثم مَضَيَا، فأقام أبو بكر للناسِ الحجَّ، والعربُ إِذْ ذَاكَ في تلك السَّنَةِ على منازِلِهِمْ من الحجِّ التي كَانُوا عليها في الجاهليةِ، حَتَّىٰ إِذَا كان يَوْمُ النحرِ قَامَ عليُّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) فَأَذَّنَ في الناس بالذي أَمَرَهُ به رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: أَيُّها الناسُ، إنه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ كَافِرٌ ولا يحجُّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ له عند رسولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فهو له إلى

---

(١) الآلاَءُ: هي النِّعَمُ.

(٢) فَلاَ تَأْلُنَّ جُهْداً، أي: لا تُقَصِّرُوا، يُقَال: ما أَلَوْتُ أي: ما قَصَّرْتُ.

مُدَّتِهِ، وَأَجل الناسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ من يَوْمِ أَذَّنَ فيهم ليرجِعَ كُلُّ قومٍ إلى مَأْمِنِهِمْ أو بلادِهم، ثم لا عَهْدَ لمشركٍ ولا ذِمَّةٍ، إلاَّ أَحَداً كَانَ له عند رسولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ إلى مُدَّةٍ فهو له إلى مُدَّتِهِ، فلم يحجَّ بعد ذلك العامِ مُشْرِكٌ، ولم يَطُفْ بالبيت عُريان، ثم قدما على رسولِ اللَّهِ ﷺ [١٠٩٣].

قال ابن إسحاق: فَكَانَ هذا من «براءة» فيمن كان من أهل الشركِ مِنْ أَهْلِ العَهْدِ العامِّ وأهلِ المدةِ إلىٰ الأجلِ المسمىٰ.

قال ابن إسحاق: ثم أَمَرَ الله رسولَهُ ﷺ بجهادِ أهلِ الشركِ ممن نَقَضَ من أهلِ العهدِ الخاصِّ، وَمَنْ كَانَ من أهلِ العَهْدِ العامِّ بَعْدَ الأربعةِ الأشهرِ التي ضَرَبَ لهم أجلاً إلاَّ أَنْ يَعْدُوَ فيها عَادٍ منهم فَيُقْتَلُ بِعَدَائِهِ، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ (٢٦٠/ب) وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ أي: من بعد ذلك ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً

[١٠٩٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٩٣ـ٢٩٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٤٤ـ٤٥).

وقال الهيثمي: وهذا الذي ذكره محمد بن إسحاق في المغازي موجود في الأحاديث الموصوله.

قلت منها حديثان: الأول: من حديث ابن عباس في سبب نزول الآية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٢٠): كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: «خذوا زينتكم عند كل مسجد»، الحديث (٢٥/ ٣٠٢٨)، وابن جرير الطبري (٨/ ١١٨ـ١١٩)، في تفسير سورة الأعراف الآية (٣١)، والبيهقي (٥/ ٨٨): كتاب الحج: باب لا يطوف بالبيت عريان، من حديث ابن عباس، قال: «كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: مَن يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول [من الرجز]:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، إلا أن البيهقي قال: فنزلت هذه الآية: ﴿قل من حرم زينة الله﴾.

وأما الأمر المذكور، وهو أن لا يحج بعد العام مشرك فأخرجه البخاري (٣/ ٤٨٣): كتاب الحج: باب لا يطوف بالبيت عريان، الحديث (١٦٢٢)، ومسلم (٢/ ٩٨٢): كتاب الحج: باب لا يحج البيت مشرك، الحديث (٤٣٥/ ١٣٤٧) واللفظ له، من حديث أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في الحجّة التي أمره عليها رسول الله ﷺ، قبل حجة الوداع في رهط يؤذّنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [براءة: ١٣ ـ ١٦] [١٠٩٤].

قال ابن هشام: وليجةٌ: دَخِيلٌ، وَجَمْعُهَا ولائج، وهو من وَلَجَ يَلِجُ: أي: دَخَلَ يَدْخُلُ، وفي كتاب الله (عزَّ وجلَّ) ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. أي: يَدْخُل، يقولُ: لم يتخذوا دَخِيلاً من دونه يُسِرُّون إليه غير ما يُظْهِرونَ، نحو ما يصنع المنافقون: يظهرون الإيمان للذين آمنوا، وإذا خَلَوْا إلىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ؛ قال الشاعر [من الكامل]:

وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ وَلِيجَةً ... سَاقُوا إِلَيْكَ الْحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ[1]

قال ابن إسحاق: ثُمَّ ذَكَرَ قول قريش: إنَّا أَهْلُ الحرم وَسُقَاة الحاج، وعُمَّار هذا البيت، فَلاَ أَحَدَ أَفْضَلُ مِنَّا، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: إنَّ عمارتكم لَيْسَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله: أي: مَنْ عَمَرَهَا بِحَقِّها، مَنْ آمن بالله واليوم الآخر ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: فَأُولَٰئِكَ عُمَّارها ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ و «عسى» مِنَ الله حَقٌّ [١٠٩٥]، ثم قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [براءة: ١٨ ـ ١٩] ثم القصة حتى انتهى إلى ذِكر «حُنَيْن» وما كان فيه وَتَوَلِّيهم عَنْ عَدُوِّهم وما أنزل الله تعالى مِنْ نَصْرِهِ بعد تَخَاذُلِهِمْ، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [براءة: ٢٨] وذلك أن الناس قَالُوا: لتنقطعن عَنَّا الأسواق فتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: مِنْ وَجْهٍ غَيْرِ ذلك، ﴿إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [براءة: ٢٩] أي: ففي هذا عِوَضٌ مما تخوفتم من قَطْعِ الأَسْوَاقِ؛ فعوَّضهم الله مما قُطِعَ عنهم بِأَمْرِ الشِّرْكِ ما أعطاهم مِنْ أَعْنَاقِ أَهْلِ الكِتَابِ مِنَ الجِزْيَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَ الكتابين بما فيهم من الشرِّ والفِرْيَةِ عليه، حتى انتهى إلىٰ قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ

[١٠٩٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣١) رقم (١٦٥٥٣) حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة به.
[١٠٩٥] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٥) رقم (١٦٥٧٠) عن ابن إسحاق.

---

(١) غَيْرَ مَشُوبٍ، أي: غَيْرَ مَخلوطٍ. يُقَالُ: شُبْتُ الشَّيْءَ: إِذَا خَلَطْتَهُ به.

وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [براءة: ٣٤] ثم ذكر النَّسِيءَ وما كانتِ العربُ أَحْدَثَتْ فيه، والنَّسِيءُ: ما كان يُحَلُّ مما حرم الله تعالى مِنَ الشهورِ، ويُحَرَّمُ مما أَحَلَّ الله منها، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [براءة: ٣٦] أي: لا تَجْعَلُوا حَرَامَهَا حَلالاً، ولا حلالها حراماً، أي: كما فعل أهلُ الشركِ فَـ(إِنَّمَا النَّسِيءُ) الذي كانوا يَصْنَعُونَ ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [براءة: ٣٧].

ثم ذكر «تَبُوكَ» وما كان فيها من تَثَاقُلِ المسلمين عنها، وما أعظموا من غَزْوِ الرُّومِ حِينَ دعاهم رسول الله ﷺ إِلىٰ جِهَادِهِمْ، ونفاق من نافق من المنافقين حِينَ دعوا إِلىٰ ما دعوت إِلَيْهِ مِنَ الجِهَادِ، ثم مَا نَعَى[1] عليهم من إحداثِهم في الإِسْلَامِ، فقال (٢٦١/ أ) تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [براءة: ٣٨] ثم القِصَّة إِلىٰ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [براءة: ٣٩] إِلىٰ قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [براءة: ٤٠] ثم قال تعالى لنبيه ﷺ يذكر أهل النفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ[2] وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [براءة: ٤٢] أي: إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [براءة: ٤٣] إِلىٰ قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [براءة: ٤٧].

قال ابن هشام: أَوْضَعُوا خِلالَكُمْ: سَارُوا بين أَضْعَافِكُمْ، الإِيضاع: ضرب من السيرِ أَسْرَعُ من المشْي؛ قال الأجدعُ بْنُ مالك الهمداني [من الكامل]:

يَصْطَادُكَ الْوَحَدُ الْمُدِلُّ بِشَأْوِهِ ... بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ وَالإِيضَاعِ[3]

---

(١) ثُمَّ مَا نَعَى عَلَيْهِم، يقال: نَعَى عليه كذا وكذا: أَعَابَهُ وَعَتَبَهُ فيه.

(٢) الشُّقَّةُ: بُعْدُ المَسِير، وقد تقدم.

(٣) يَصْطَادُكَ الوَحَدُ المُدِلُّ بِشَأْوِهِ، يَعْنِي به: الفَرَسَ، والوَحَدُ: المُنْفَرِدُ، وكذلك الوَحِدُ بكسر الحاء يعني: فَرساً. والجَيِّدُ روايةُ من رَوَى الوَحَدَ المُدِلَّ بالنَّصْب، ويعني به: الثَّوْرَ الوَحْشِيَّ. وَيُضْمِرُ في قوله: يَصْطَادُكَ ـ ضَمِيراً يَرْجِعُ إلى فَرَسٍ مُتَقَدِّم الذِّكْرِ، وَشَأْوُهُ: طَلَقُهُ، والشَّرِيجُ: النَّوعُ، يقال: هما شريجان أي: نوعان مُخْتَلِفان. والشَّدُّ هنا: الجَرْيُ، والإِيضَاعُ: قد فَسَّره ابن هِشام.

وهذا البيت في قصيدة له.

قَالَ ابْنُ إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشَّرَفِ، فيما بلغني، منهم عبدُ الله بن أبيٍّ ابن سلولَ، وَالْجَدُّ بن قَيْس، وكانوا أشرافاً في قَوْمِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ الله؛ لعلمه أنهم إنْ يَخْرُجُوا معه يُفْسِدوا عليه جُنْدَه [١٠٩٦]، وكان في جُنْدِهِ قومٌ أهلُ محبَّةٍ لهم، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه لِشَرَفِهِمْ فيهم، فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قبل أَنْ يَسْتَأْذِنُوكَ ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: ليُخَذِّلوا عنك أَصْحَابَكَ، ويَرُدُّوا عليك أَمْرَكَ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [١٠٩٧] وكان الذي قال ذلك، فيما سُمِّيَ لنا، الْجَدُّ بن قَيْسٍ أخو بني سَلَمَةَ حين دعاه رسولُ الله ﷺ إلى جِهَادِ الرُّوم ثُمَّ كَانَتِ القصةُ إلى قَولِهِ تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطَوْا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ أي: إنما نيتهم ورضاهم وَسَخَطُهُمْ لدنياهم.

ثم بَيَّنَ الصَّدَقَاتِ لمن هي، وَسَمَّى أَهْلَهَا فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ثم ذكر غِشَّهُمْ وأذاهم النبيَّ ﷺ فقال: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ وكان الذي يقولُ تلك المقالةَ، فيما بلغني، نَبْتَلُ ابن الحرث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أُذُن، مَنْ حَدَّثه شيئًا صَدَّقَهُ، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: يَسْمَعُ الخَيْرَ ويُصَدِّق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ (٢٦١/ب) عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾، وَكَانَ الذي قَالَ هذه المقالَة وَدِيعةُ بْنُ ثابت أخو بني أُمَيَّة بن زيد من بني عمرو بن عوف، وكان الذي عُفِيَ عنه، فيما بلغني، مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعي حَلِيفُ بني سلمة، وذلك أنه أَنْكَرَ منهم بَعْضَ ما سَمِعَ منهم، ثم القصةُ من صفتهم. حتى انتهى إلىٰ

[١٠٩٦] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٢) رقم (١٦٧٨٥) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٩٧] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٥) رقم (١٦٧٩٧) من طريق ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [١٠٩٨] ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وكان الذي قَالَ تلك المَقَالَةَ الْجُلاَسُ بن سُوَيْد بن صامت، فرفعها عليه رجُلٌ كان في حِجْره يُقَالُ له: عمير بن سعد، فَأَنْكَرَهَا وَحَلَفَ بالله ما قالها، فلما نَزَلَ فيهم القرآنُ، تَابَ وَنَزَعَ وَحَسُنَتْ حالُهُ وتوبتُهُ، فيما بلغني [١٠٩٩]، ثم قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ وكان الذي عَاهَدَ الله منهم ثَعْلَبة بن حاطب وَمُعَتِّب بن قُشَيْر، وهما من بني عمرو بن عوف [١١٠٠]، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وكان المطوعون [من المؤمنين] في الصدقات عَبْدَ الرحمن بن عَوْف، وعاصم بن عدي أخا بني الْعَجْلان، وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَغَّب في الصدقة وَحَضَّ عليها، فَقَامَ عبدُ الرحمن بن عوف فَتَصَدَّقَ بأربعة آلاف درهم، وقام عَاصم بن عدي فَتَصَدَّقَ بمائةِ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فلمزوهما وقالوا: مَا هَذا إلاَّ رياءً، وكان الذي تَصَدَّقَ بِجُهْدِهِ أبو عَقيل أخو بني أُنَيْف: أتى بِصَاعٍ من تَمْرٍ فَأَفْرَغَهَا في الصدقةِ، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ أبي عقيل [١١٠١]، ثم ذكر قول بَعْضِهِمْ لبعضٍ حين أَمَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بالجهادَ، وَأَمَرَ بالسير إلى «تبوك» على شدة الحر وجدب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ﴾.

صلاة رسول الله على عبد الله بن أبي وكراهية عمر لذلك

قال ابن إسحاق: حَدَّثني الزهريُّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أُبيٍّ دُعِيَ رسولُ الله ﷺ للصلاةِ عليه، فَقَامَ إليه، فلما وقف عليه يريدُ الصلاةَ تَحَوَّلْتُ حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسولَ الله، أَتُصَلِّي عَلَىٰ عَدُوِّ الله عبد الله بن أبي ابن سلول القَائِلِ كذا يوم كذا والقائلِ كذا

[١٠٩٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٠٨-٤٠٩) رقم (١٦٩٢٦) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٩٩] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٢١) رقم (١٦٩٨٤) من طريق ابن إسحاق.

[١١٠٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٢٧) رقم (١٧٠٠٥) من طريق ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن به.

[١١٠١] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٣١) رقم (١٧٠٢٧) من طريق ابن إسحاق.

يوم كذا؟ أُعَدِّدُ أيّامه [له]، ورسول الله ﷺ يَتَبَسَّم، حتى إذا أكْثَرْتُ قال: «يَا عُمَرُ، أَخِّرْ عَنِّي إني قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ، فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ» قال: ثم صلّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، ومشى معهُ حتى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حتى فُرِغَ منه، قال: فعجبتُ لي ولجراءتي على رسولِ اللَّهِ ﷺ، والله ورسولُه أعلم، فواللَّهِ، ما كان إلاَّ يسيرًا حتى نَزَلَتْ هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فما صَلَّى رسولُ الله ﷺ بَعْدَهُ على منافقٍ حَتَّى قَبَضَهُ الله [١١٠٢].

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ (٢٦٢/أ) بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ وكان ابن أُبَيٍّ من أولئك؛ فَنَعَى الله ذلك عليه وذكره منه [١١٠٣]، ثم قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ إلى آخر القِصَّةِ، وكان المُعَذِّرُونَ، فيما بلغني، نَفَرًا من بني غفار: منهم خُفَاف بن أيْمَاء بن رَحَضَةَ، ثم كانت القصةُ لأهلِ العذرِ حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وهم البَكَّاءون، ثم قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ والخوالف: النِّساء، ثم ذكر حَلِفَهُمْ للمسلمين واعْتِذَارَهُمْ، فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ثم ذَكَرَ الأعرابَ وَمَنْ نَافَقَ منهم وتَرَبُّصَهم برسولِ الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي: من صدقةٍ أو نفقةٍ في سبيلِ الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم ذكر الأعرابَ أهلَ الإخلاصِ والإيمان منهم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾، ثم ذكر

[١١٠٢] أخرجه البخاري (٣/ ٥٩٤) كتاب الجنائز ـ باب ما يكره من الصلاة على المنافقين ـ حديث (١٣٦٦) وفي (٩/ ٢٣٢) كتاب التفسير: باب قوله: «استغفر لهم ولا تستغفر لهم...» حديث (٤٦٧١) والترمذي (٥/ ٢٧٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة براءة ـ حديث (٣٠٩٧) والنسائي (٤/ ٦٧ـ٦٨) كتاب الجنائز: باب الصلاة على المنافقين ـ حديث (١٩٦٦) وفي «التفسير» (٢٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٨) كلهم من طريق الزهري.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

[١١٠٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٤١) رقم (١٧٠٧٨) من طريق ابن إسحاق.

السَّابقين الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأنصارِ وَفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم، ثم أَلْحَقَ بهم التابعين لهم بإحسانٍ، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: لَجُّوا فيه وَأَبَوْا غَيْرَهُ ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ والعذابُ الذي أَوْعَدَهُمُ الله تعالى مرتين، فيما بلغني، غَمُّهم بما هم فيه من أمر الإسلام وَمَا يَدْخُلُ عليهم من غَيْظِ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبورِ إذا صَارُوا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يُرَدُّون إليه عذابُ النارِ والخلد فيه [١١٠٤]، ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ إلى آخر القِصَّة، ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ وهم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا وَأَرْجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرهُمْ حتى أَتَتْ مِنَ الله توبتُهم، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ إلى آخر القصَّةِ، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ ثم كان قصةُ الخبر عن «تبوك» وما كان فيها إلى آخر السورةِ.

وكانت «براءة» تسمى في زمان النبيِّ ﷺ وبعده الْمُبَعْثِرَةَ؛ لِمَا كَشَفَتْ مِنْ سَرَائِرِ الناس.

وكانت «تبوك» آخر غزوة غزاها رسولُ الله ﷺ (٢٦٢/ ب).

قصيدة لحسان بن ثابت أو لابنه عبد الرحمن يعدد فيها المغازي

وقال حسان بن ثابت: يعدِّد أيام الأنصارِ مع النبيِّ ﷺ ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه.

قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان [من البسيط]:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا ... وَمَعْشَرًا إِنْ هُمُ عُمُّوا وَإِنْ حُصِلُوا[1]

قَوْمٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ ... مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا[2]

[١١٠٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٥٨) رقم (١٧١٥٠) عن ابن إسحاق.

---

(١) حُصِلُوا، أي: جُمِعُوا كلهم وأرادَ حُصِّلوا بالتَّشْدِيد فَخَفَّفَه. وَمَن قال: عَمُّوا وَإِنْ حَصَلُوا بالفتح، فقد نَسَب الفِعْلَ إِلَيْهم، يُرِيدُ وَإِنْ عَمُّوا أَنْفُسَهُم وحَصَّلوها.

(٢) فما أَلَوْا ولا خَذَلُوا، يريد: ما قَصَّرُوا. تقولُ: وَإِنْ عَمُوا في كذا أي: ما قَصَّرُوا فيه، وَمَنْ رَواه: فما آلَوْا بِالْمَدِّ، فمعناه: ما أَبْطَئُوا. حكى ابنُ الأعرابيِّ: آلَ الرَّجُلُ: إِذَا أَبْطَأَ وَتَوانى. ومن رَواه: =

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ ... مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيمَانِهِمْ دَخَلُ[1]

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ[2]

وَيَوْمَ ذِي قَرَدٍ يَوْمَ اسْتَثَارَ بِهِمْ ... عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا[3]

وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمُ ... مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبِيضُ وَالْأَسَلُ[4]

وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجْلَوْا أَهْلَهُ رَقَصًا ... بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ[5]

وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمُ ... لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا

وَغَزْوَةَ يَوْمَ نَجْدٍ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ ... مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّفَلُ

وَلَيْلَةً بِحُنَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ ... فِيهَا يَعُلُّهُمُ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهِلُوا[6]

وَغَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ ... كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ[7]

وَيَوْمَ بُويِعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ ... عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا

وَغَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ ... مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجِلُوا

وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ ... يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ[8]

بِالْبِيضِ تُزْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً ... تَغُوجُ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا ... إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأُوَلُ

وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمُ ... حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفَلُ[9]

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ ... قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَتَّصِلُ[10]

مَاتُوا كِرَاماً وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمُ ... وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا[11]

قال ابن هشام: عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

= آلَوْا، فَمَعْناه: ما رَجَعُوا، يُقال: آلَ إلى كذا أي: رَجَعَ إليه. ومَنْ روَاه: ألَوا بتشديد اللاَّم فيريد به: أنَّهم لم يُقَصِّروا أيضاً، وهو بِمَعْنى الأوَّل إلاَّ أنَّه شَدَّدَهُ مُبَالَغَةً. ومَا خذلوا، أي: ما تَرَكُوا.

(١) الدَّخَلُ: الفَسَادُ.

(٢) ضَرْبٌ رَصِينٌ، أي: ثابتٌ مُحْكَمٌ.

(٣) فما خَامُوا وَمَا نَكَلُوا، خَامُوا أي: رَجَعُوا، وَنَكَلُوا أيضاً: رَجَعُوا، ولا يَكُونان إلاَّ رُجوعَ هَيْبَةٍ وَفَزَعٍ.

(٤) جَاسُوهَا بِخَيْلِهِم، أي: وَطِئُوها، والأسَلُ: الرِّماحُ.

(٥) رَقَصٌ: ضَرْبٌ من المَشْي، والحَزْنُ: ما ارْتَفَعَ مِنَ الأرْضِ.

(٦) يَعُلُّهم، أي: يُكَرِّرُها عَلَيْهِمْ، وَنَهِلُوا: شَرِبُوها أوَّلاً.

(٧) الرَّسَلُ: الإبِلُ.

(٨) مُسْتَبْسِلٌ، أي: مُوَطِّنٌ نَفْسَهُ على الموت.

(٩) القَفَلُ: الرُّجوعُ.

(١٠) حين أتَّصِلُ: أي حين أنْتَسِبُ؛ يقال: اتَّصَلَ بقَبيل كذا أي: انْتَسَبَ إليه.

(١١) ينظر ديوانه ص (٣٩٤)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٣).

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً [من الطويل]:

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ... فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ

وأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرَهُ ... إِلٰهٌ بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَكْلُ[1]

بِنَصْرِ الْإِلٰهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ ... وَأَلْبَسَنَاهُ اسْمًا مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ

أُولٰئِكَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ[2] ... فَمَا عُدَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَوْمِي لَهُ أَهْلُ

يَرُبُّونَ[3] بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفَ مَنْ مَضَى ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قُفْلُ

إِذَا اخْتُبِطُوا لَمْ يُفْحِشُوا فِي نَدِيِّهِمْ ... وَلَيْسَ عَلَى سُؤَّالِهِمْ عِنْدَهُمْ بُخْلُ[4]

وَإِنْ حَارَبُوا أَوْسَالَمُوا لَمْ يُشَبَّهُوا ... فَحَرْبُهُمُ حَتْفٌ وَسَلْمُهُمُ سَهْلُ

وَجَارُهُمُ مُوفٍ بِعَلْيَاءَ[5] بَيْتُهُ ... لَهُ مَا نَوَى فِينَا الْكَرَامَةُ وَالْبَذْلُ

وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ حَمَالَةٍ[6] ... تَحَمَّلَ لاَ غُرْمٌ عَلَيْهِ وَلاَ خَذْلُ

وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ ... وَحِلْمُهُمُ عَوْدٌ[7] وَحُكْمُهُمُ عَدْلُ

وَمِنَّا أَمِينُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتَهُ ... وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسْلُ[8]

قال ابن هشام: وقوله «وَأَلْبَسَناهُ اسْماً» عن غير ابن إسحاق.

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً [من المتقارب]:

قَوْمِي أُولٰئِكَ إِنْ تَسْأَلِي ... كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْماً أَلَمّ[9]

---

(١) ما لها شَكْلٌ، أي: ما لَهَا مِثْلٌ. يُقال: هذا شَكْلُ هذا أي: مِثْلُه.

(٢) بأسْرهم، أي: بأكْملِهِمْ.

(٣) يُرَبُّونَ، أي: يُصْلِحُونَ.

(٤) اخْتُبِطوا، أي: قُصِدُوا في مَجْلِسِهم وَطُلِبَ مَعْرُوفُهُم، والمُخْتَبِطُ: الطالِبُ للمعروف، ومن روَاه اخْتَطَبُوا فهو من الخُطْبَة. ونَدِيُّهُم: مَجْلِسُهم.

(٥) العَلْياءُ: الموضعُ المُرْتَفِعُ.

(٦) الحَمَالَةُ: ما يَتَحَمَّلُه الإنسان من غَرْم في دِيَةٍ.

(٧) حِلْمُهُمْ عَوْدٌ، العَوْدُ: القَدِيمُ المُتَكَرِّرُ.

(٨) ومِنَّا أمينُ المُسْلِمينَ، يعني: سعْدَ بن مُعَاذٍ. ومَنْ غَسَلَتْهُ من جنابَتِهِ الرُّسْلُ، يعني: حَنْظَلَة الذي غَسَلَتْهُ الملائكةُ حين استُشهِدَ يوم أُحُدٍ، وقد تقدّم ذكره. ويعني بالرُّسُلِ هنا: الملائكة. وينظر ديوانه ص (١٤١ ـ ١٤٢).

(٩) كِرامٌ إذا الضَّيْفُ يوماً ألَمّ، ألَمّ معناه: زَارَ ونَزَلَ.

عِـظَـامُ الْـقُـدُورِ لِأَيْـسَـارِهِـمْ ... يَـكُـبُّـونَ فِـيـهَـا الْـمُـسِـنَّ السَّـنِـمْ[1]

يُـوَاسُـونَ جَـارَهُـمُ فِـي الْـغِـنَـى ... وَيَـحْـمُـونَ مَـوْلاَهُـمُ إِنْ ظُـلِـمْ

فَـكَـانُـوا مُـلُـوكـاً بِـأَرْضِـيـهِـمُ ... يُـنَـادُونَ غُـضْـبـاً بِـأَمْـرٍ غَـشَـمْ[2]

مُـلُـوكـاً عَـلَـى النَّـاسِ لَـمْ يُـمْـلَـكُـوا ... مِـنَ الـدَّهْـرِ يَـوْمـاً كَـحِـلِّ الْـقَـسَـمْ

فَـأَنْـبُـوا بِـعَـادٍ وَأَشْـيَـاعِـهَـا ... ثَـمُـودَ وَبَـعْـضِ بَـقَـايَـا إِرَمْ[3]

بِـيَـثْـرِبَ قَـدْ شَـيَّـدُوا فِـي الـنَّـخِـيـلِ ... حُـصُـونـاً وَدُجِّـنَ فِـيـهَـا الـنَّـعَـمْ[4]

نَـوَاضِـحَ قَـدْ عَـلَّـمَـتْـهَـا الْـيَـهُـو ... دُ «عَـلَّ» «إِلَـيْـكَ» وَقَـوْلاً «هَـلُـمّ»[5]

وَفِـيـمَـا اشْـتَـهَـوْا مِـنْ عَـصِـيرِ الْـقِـطَـا ... فِ وَالْـعَـيْـشِ رِخْـوًا عَـلَـى غَـيْـرِ هَـمّ[6]

فَـسِـرْنَـا إِلَـيْـهِـمْ بِـأَثْـقَـالِـنَـا ... عَـلَـى كُـلِّ فَـحْـلٍ هِـجَـانٍ قَـطِـمْ[7] (٢٦٣/أ)

جَـنَـبْـنَـا بِـهِـنَّ جِـيَـادَ الْـخُـيُـو ... لِ قَـدْ جَـلَّـلُـوهَـا جِـلاَلَ الْأَدَمْ[8]

فَـلَـمَّـا أَنَـاخُـوا بِـجَـنْـبَـيْ صِـرَارٍ ... وَشَـدُّوا الـسُّـرُوجَ بِـلَـيِّ الْـحُـزُمْ[9]

فَـمَـا رَاعَـهُـمْ غَـيْـرُ مَـعْـجِ الْـخُـيُـو ... لِ وَالـزَّحْـفُ مِـنْ خَـلْـفِـهِـمْ قَـدْ دَهِـمْ[10]

فَـطَـارُوا سِـرَاعـاً وَقَـدْ أُفْـزِعُـوا ... وَجِـئْـنَـا إِلَـيْـهِـمْ كَـأُسْـدِ الْأَجَـمْ

عَـلَـى كُـلِّ سَـلْـهَـبَـةٍ فِـي الـصُّـيَـا ... نِ لاَ يَـشْـتَـكِـيـنَ نُـحُـولَ الـسَّـأَمْ[11]

وَكُـلِّ كُـمَـيْـتٍ مُـطَـارِ الْـفُـؤَادِ ... أَمِـيـنِ الْـفُـصُـوصِ كَـمِـثْـلِ الـزُّلَـمْ[12]

عَـلَـيْـهَـا فَـوَارِسُ قَـدْ عُـوِّدُوَا ... قِـرَاعَ الْـكُـمَـاةِ وَضَـرْبَ الْـبُـهَـمْ[13]

---

(١) والأيْسَارُ: جَمْعُ يَسَرٍ وهو الذي يَدْخُل في المَيْسِر؛ والمُسِنُّ: الكبيرُ، والسَّنِيمُ: العَظِيمُ السَّنامِ وهو أعْلَى الظَّهْر.

(٢) بأمْرٍ غَشِم: هو منَ الْغَشْم، وهو أسْوأُ الظُّلْم.

(٣) فَأنْبُوا، أرَاد: فَأنْبَؤا فخفَّفَ الهمزةَ، وَإِرَمْ: هي عادٌ الأُولَى.

(٤) ودُجِّنَ فيها النَّعَمُ، أي: اتُّخِذَ في البُيُوت، يُقال: دَجَن بالمكان: إذا أقَامَ فيه، والدَّاجنُ: كُلُّ ما أَلِفَ النَّاسُ كالحَمام والدَّجاج وغيْر ذلك.

(٥) النَّواضِحُ: الإبِلُ التي يُسْتَقى عليها الماءُ. وَعَلَّ: زَجْرٌ تُزْجَرُ بِهِ الإبِلُ، وَهَلُمَّ، بمَعْنَى: أقْبِلْ.

(٦) والقِطافُ: ما يُقْطَف مِنَ العِنَب وغَيْرِه.

(٧) الهِجانُ: الأبيض وهو من أكْرَم ألْوان الإبِل، وَقَطِمٌ: شَهْوَانٌ للضِّراب هائجٌ.

(٨) جَنَبْنا، أي: قُدْنَا. وجَلَّلُوها: غَطَّوْهَا، والأدَمُ: الجلْدُ.

(٩) صِرارٌ بالصَّادِ المهملة: مَوضِعٌ.

(١٠) مَعْجُ الخُيول: سُرْعَتُها، ودَهِمَ، أي: جاء غَفْلَةً عَلى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ.

(١١) السَّلْهَبَةُ: الفَرَسُ الطَّويلةُ، والصِّيانُ والصُّوانُ: ما يُصانُ به من الجلاَل. والسَّأمُ: المَلَلُ.

(١٢) مُطَار الفؤَادِ، يَعْني: ذَكِيُّ الفُؤادِ، والفُصوصُ: مَفَاصِلُ العِظَام، والزُّلَمُ: القِدْحُ.

(١٣) الكُماةُ: الشُّجْعَانُ، والبُهَمُ: الشُّجْعان أيضاً واحِدُهم: بُهْمَةٌ.

مُلُوكٌ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلاَ ... دِ لاَ يَنْكُلُونَ وَلَكِنْ قُدُمْ[1]

فَأُبْنَا[2] بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ ... وَأَوْلاَدُهُمْ فِيهِمُ تُقْتَسَمْ

وَرِثْنَا مَسَاكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ ... وَكُنَّا مُلُوكاً بِهَا لَمْ نَرِمْ[3]

فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيـ ... ـدُ بِالْحَقِّ وَالنُّورِ بَعْدَ الظَّلَمْ

فَقُلْنَا: صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِيكِ ... هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ

فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الإِلَـ ... ـهِ أُرْسِلْتَ نُوراً بِدِينٍ قَيِّمْ[4]

فَإِنَّا وَأَوْلاَدَنَا جُنَّةٌ ... نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمْ

فَنَحْنُ أُولَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكَ ... فَنَادِ نِدَاءً وَلاَ تَحْتَشِمْ[5]

وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ ... نِدَاءً جِهَاراً وَلاَ تَكْتَتِمْ

فَسَارَ الْغُوَاةُ بِأَسْيَافِهِمْ ... إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُخْتَرَمْ[6]

فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا ... نُجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ[7] الأُمَمْ

بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَيْعَةٌ ... رَقِيقِ الذُّبَابِ عَضُوضٍ خَذِمْ[8]

إِذَا مَا يُصَادِفُ ضُمَّ الْعِظَا ... مِ لَمْ يَنْبُ[9] عَنْهَا وَلَمْ يَنْثَلِمْ

فَذَلِكَ مَا وَرَّثَتْنَا الْقُرُو ... مُ مَجْداً تَلِيداً وَعِزًّا أَشَمّ[10]

إِذَا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلَهُ ... وَغَادَرَ نَسْلاً إِذَا مَا انْقَصَمْ[11]

فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ لَنَا ... عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمْ[12]

قال ابن هشام: أَنْشَدَنِي أبو زيد الأنصاريُّ بَيْتَهُ [من المتقارب]:

فَكَانُوا مُلُوكاً بِأَرْضِيهِمُ ... يُنَادُونَ غُضْبَا بِأَمْرٍ غَشَمْ

---

(١) غَشَمُوا: جاروا واشْتَدَّ ظُلْمُهم، ولا يَنْكُلُونَ، أي: لا يَرْجِعُون هائِبين.

(٢) أُبْنا، أي: رَجَعنا.

(٣) لم نَرِمْ أي: لم نَبْرَحْ ولم نَزَلْ.

(٤) بِدِينٍ قَيِّم، أي: بدينٍ مُسْتَوٍ لَيْسَ فيه اعوجاج.

(٥) لا تَحْتَشِمْ، أي: لا تَنْقَبِضْ، يُقال: احْتَشَمْتُ من فُلان أي: انْقَبَضْتُ منه.

(٦) أن يُخْتَرَمْ، معناه: أن يَهْلَك.

(٧) بُغاةُ: جمع باغٍ.

(٨) لَهُ مَيْعَةٌ، أي: صِقالٌ يُشْبِهُ الماءَ في صَفائِهِ، والذُّبابُ: حدُّ طَرَفِ السَّيْف، وخَذِمٌ: قَاطِعٌ وهو بالذال المعجمة لا غير.

(٩) لم يَنْبُ، أي: لم يَرْتَفِعْ ولم يَرْجِعْ.

(١٠) والقُرومُ: السَّادَةُ، والمَجْدُ التِّلِيدُ: هو الشَّرَفُ القَدِيمُ، وأَشَمُّ: مُرْتَفِعٌ.

(١١) انْقَصَم: انْقَطَع وانْقَرَضَ.

(١٢) إن خَاس، معناه: غَدَر، يُقال: خاسَ بالعَهْدِ: إذا غَدَر به. وينظر ديوانه ص (١٣٦ ـ ١٤٠).

وأنشدني [من المتقارب]:

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجُنَ فِيهَا النَّعَمْ

وبيته «وَكُلّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤادِ» عنه

ذكر سنة تسع، وتسميتها سَنَةَ الوُفُودِ، ونزول سورة «الفتح».

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ، وفرغ من «تبوك»، وأسلمت «ثقيف»، وبايعت؛ ضَرِبَتْ إليه وفودُ العربِ من كُلِّ وَجْهٍ [١١٠٥].

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، أَنَّ ذلك في سنةِ تِسْعٍ، وأنها كانت تُسَمَّىٰ سنَة الوفودِ [١١٠٦].

قال ابن إسحاق: وإنما كانتِ العربُ تَرَبَّصُ بالإسلامِ أَمْرَ هذا الحيِّ من قريش، وَأَمْرَ رسولِ الله ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا إِمَامَ الناسِ وهاديهم، وأهلَ البيتِ والحَرَم، وصريحِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بن إبراهيم، عليهما السَّلام، وقَادَةَ العربِ، لا يُنْكَرُونَ ذلك، وَكَانَتْ قريش هي التي نَصَبَتْ لحربِ رسولِ الله ﷺ وخلافِه، فلما افْتُتِحَتْ مَكَّةُ وَدَانَتْ له قريشُ وَدَوَّخَهَا[1] الإسلامُ عَرَفَت العربُ أنه لا طَاقَةَ لهم بحربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا عداوته، فَدَخَلُوا في دينِ اللَّهِ ـ كما قال الله (عزَّ وجلَّ) أَفْوَاجاً ـ يضربون إليه من كلِّ وجْهٍ، يقولُ الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣] أي: فاحمد الله على ما أظهر مِنْ دِينِكَ واستغفره إنه كان تواباً [١١٠٧].

قُدُومُ وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ، وَنُزُولُ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ

فقدمتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفودُ العربِ، فقدم عليه (٢٦٣/ب) عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدُس التميمي في أشراف بني تميم: منهم الأَقْرَعُ بن حابس

[١١٠٥] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٠٩/٥) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٩/٥) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٥٤) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

[١١٠٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٩/٥) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٥٤) من طريق ابن هشام.

[١١٠٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٩/٥) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٥٤) عن ابن إسحاق.

---

(١) دَوَّخَها الإسلامُ، أي: وَطِئَها وذَلَّلها.

[التميمي]، والزِّبْرِقَانُ بن بدر التميمي أحد بني سعد، وَعَمْرُو بن الأهْتَم، والحتات بن يزيد (قال ابن هشام: الْحُتَات، وهو الذي آخَىٰ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُ وبين معاويةَ بْنِ أبي سفيان، وكان رسولُ الله ﷺ قَدْ آخَىٰ بين نَفَرٍ من أَصْحَابِهِ من المهاجرين: بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وَبين أبي ذر الغفاري وَالمقداد بن عمرو البهراني، وبين معاوية بن أبي سفيان وَالحتات بن يزيد المجاشعي، فَمَاتَ الحتاتُ عند معاوية في خِلافَتِهِ، فَأَخَذَ معاويةُ مَا تَرَكَ وراثةً بهذه الأخوة، فقال الفرزدق لمعاوية [من الطويل]:

أَبُـوكَ وعَـمِّـي يَـا مُـعَـاوِيُ أَوْرَثَـا ... تُـرَاثـاً فَـيَـحْـتَـازُ الـتُّـراثَ أَقَـارِبُـهْ

فَـمَـا بَـالُ مِـيـرَاثِ الْـحُـتَـاتِ أَكَـلْـتَـهُ ... وَمِـيـرَاثِ حَـرْبٍ جَـامِـدٌ لَـكَ ذَائِـبُـهْ[1]

(وهذان البيتان في أبيات له)

قال ابن إسحاق: وفي وفد بني تميم: نُعَيْم بن يزيد[2]، وقيس بن الحرث وقيس بن عاصم أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعُطَارد بن حاجب أَحَدُ بني دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، والأقرع بن حابس أحد بني دارم بن مالك، والْحُتات بن يزيد أحد بني دارم بن مالك، والزِّبْرِقَان بن بدر أحد بني بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعمرو بن الأهْتَم أحد بني مِنْقَر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيس بن عاصم أحد بني مِنْقَر بن عبيد [بن الحرث].

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَدْر الْفَزَاري وقد كان الأقرعُ بن حابس وعُيَينة بن حصن شَهِدَا مع رسولِ الله ﷺ فتح مكة وحُنَيْناً والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، فَلَمَّا دَخَلَ وَفْدُ بني تميم المسجدَ نَادَوا رسولَ الله ﷺ من وراء حُجُراته: أن اُخْرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسولَ الله ﷺ من صِيَاحِهِمْ، فَخَرَجَ إليهم، فقالوا: يا محمد، جِئْنَاكَ نُفَاخِرُكَ، فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا، قال: «قَدْ أَذِنْتُ لَخِطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ» فقام عُطارد بن حاجب، فقال:

---

(١) ينظر: ديوانه (١/ ٥٢)، وتاج العروس (حتت).

(٢) وفي وَفْدِ بني تَميمٍ نُعَيْمُ بنُ يزيدٍ: كذا وقع في الأصل، وَرواهُ الخُشَنِيُّ نُعَيْم بن بَدْرٍ، والصَواب ابنُ يزيدَ.

خُطْبَةُ تَمِيمٍ

الحمد لله الذي له علينا الفضلُ [والْمَنّ]، وهو أَهْلُهُ، الذي جعلنا مُلوكاً، وَوَهَبَ لنا أموالاً عِظَاماً نَفْعَلُ فيها المعروفَ، وجعلنا أعزَّ أَهْلِ المشرقِ، وأكثره عَدَداً، وأيْسَرَهُ عُدَّةً، فَمَنْ مِثْلُنَا في الناسِ؟ ألسنا برءُوسِ الناسِ وأُولي فَضْلِهِمْ؟ فمن فَاخَرَنَا فلْيَعْدُدْ مثلَ ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلامَ، ولكنَّا نحيا من الإكثارِ فيما أعطانا، وَإِنَّا نُعْرفُ بذلك، أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمْرٍ أفْضَلَ من أمرنا، ثم جلس.

فقال رسولُ الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس أخي بني الحرث بن الخزرج: «قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ في خُطْبَتِهِ» فقام ثابت، فقال:

خُطْبَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ

الحمدُ لله الذي السموات والأرض خَلْقُهُ، قَضَىٰ فيهنَّ أَمْرَهُ، ووَسِعَ كرسيُّهُ علْمُه، ولم يَكُ شيءٌ قطُّ إلاَّ مِنْ فَضْلِهِ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصْطَفَى من خير خَلْقِهِ رَسُولاً أكرمه نسباً، وأصْدَقَهُ حديثاً، وأفضله حسباً: فَأَنْزَلَ عليه كِتَابَهُ، وائتمنه على خَلْقِهِ، فكان خيرةَ اللَّهِ مِنَ العَالَمِينَ، ثم دعا الناسَ إلىٰ الإيمان به فآمن برسول الله (٢٦٤/أ) المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرمُ الناس حَسَباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخيرُ الناس فَعَالاً، ثم كان أَوَّلَ الخلقِ إجابةً واستجابَ لله حين دعاه رسولُ اللَّهِ نحن، فنحن أنصارُ الله، ووزراءُ رسولِهِ؛ نُقَاتِلُ الناسَ حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسولِهِ مَنَعَ [منا] مَالَهُ وَدَمَهُ، وَمَنْ كَفَرَ جاهدناه في الله أبداً، وكان قتلُه علينا يسيراً، أقولُ [قولي] هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلامُ عليكم.

فقام الزِّبْرِقَان بن بدر، فقال [من البسيط]:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلاَ حَيٌّ يُعَادِلُنَا ... مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبِيَعُ[1]

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ ... عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا ... مِنَ الشِّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ[2]

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ نَصْطَنِعُ[3]

---

(١) البِيَعُ: مَواضِعُ الصَّلواتِ والعِبادات، واحِدُها: بِيْعَةٌ.

(٢) القَزَعُ: جمعُ قَزَعَةٍ وهو سَحَابٌ رَقِيقٌ يكونُ في الخَريف.

(٣) هُوِيًّا، أي: سِرَاعاً.

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطاً فِي أَرُومَتِنَا ... لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا[1]

فَلاَ تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ ... إِلاَّ اسْتَقَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ

فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ ... فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ والأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ [١١٠٨]

إِنَّا أَبَيْنَا وَلاَ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ ... إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ[2]

قال ابن هشام: يروى «منا الملوكُ وفينا تُقْسَمُ الرِّبَعُ»[3] ويروى «مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانَا ثَمَّ مُتَّبَعُ» رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزِّبْرِقَانِ.

قال ابن إسحاق: وكان حسان غائباً، فَبَعَثَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، قال حسان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأُجِيبَ شَاعِرَ بني تميم، فخرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ وأنا أقول [من الطويل]:

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسْطَنَا ... عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ

مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا ... بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

بِبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ ... بِجَابِيَةِ الْجَوْلاَنِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ

هَلِ الْمَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى ... وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ؟!

قال: فلما انتهيت إلى رسولِ الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت في قوله، وقلت على نحو ما قال، قال: فلما فرغ الزبرقان قال رسولُ الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ» قال: فقام حسان، فقال [من البسيط]:

إِنَّ الذَّوَائِبَ[4] مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ ... قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإِلَهِ وكُلَّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

[١١٠٨] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١١٥ـ١١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣١٣ـ٣١٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره بطوله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٥٠ـ٥٢).
وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٨٨ـ٢٩٠).

---

(١) الكُومُ: جَمعُ كَوْماءَ وهي العَظِيمةُ السَّنام من الإبل. وعُبْطاً، أي: مات من غَيرِ عِلَّةٍ، يُقال: اعْتُبِط الإنسانُ إذا مات شابًّا أوْ من غير علَّة. والأرُومةُ: الأصْل.

(٢) ينظر البداية والنهاية (٥/ ٥١، ٥٢).

(٣) الرُّبُعُ: يُريد رُبُعَ الغَنِيمةِ، وكان الرئيسُ في الجاهِلِيَّة يَأْخُذُ الرُّبُعَ من المَغنم. والرُّبُعُ والرُّبعُ راجِعانِ إلى هذا المَعْنَى.

(٤) الذوائِبُ: الأعَالِي وأراد بها هنا السَّادَةَ.

سَجِيَّةٌ[1] تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إِنَّ الْخَلاَئِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ ... فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

لاَ يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ[2] أَكُفُّهُمُ ... عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَقَعُوا

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْماً فَازَ سَبْقُهُمُ ... أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا[3]

أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لاَ يُطْبَعُونَ[4] وَلاَ يُزْرِيهِمُ طَمَعُ

لاَ يَسْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمُ ... وَلاَ يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[5]

إِذَا نَصَبْنَا لَجِيٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ ... كَمَا يَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ[6]

نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا ... إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَطْفَارِهَا خَشَعُوا[7]

لاَ يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ ... وَإِنْ أُصِيبُوا فَلاَ خُورٌ[8] وَلاَ هُلُعُ

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَغَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ[9]

خُذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْوًا[10] إِذَا غَضِبُوا ... وَلاَ يَكُنْ هَمَّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا

فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ ـ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ ـ ... شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلَعُ[11]

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شِيعَتُهُمْ ... إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ ... فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ[12]

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ ... إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٢٦٤/ ب)[13]

---

(١) السَّجِيَّةُ: الطَّبِيعَةُ والخليقَةُ.

(٢) ما أَوْهَتْ، أي: ما هَزَمَتْ.

(٣) مَتَعُوا، أي: زادُوا يُقال: مَتَعَ النَّهارُ: إذا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ.

(٤) لا يُطْبَعُونَ، أي: لا يَتَدَنَّسُون.

(٥) الطَّبَعُ: الدَّنَسُ.

(٦) إذا نَصَبْنَا، يريد: أَظْهَرْنَا لَهُمُ العَداوَةَ ولم نُبْرِها لهم. والذَّرَعُ بالذال المعجمة: وَلَدُ البَقَرة الوَحْشِيَّة.

(٧) الزَّعَانِفُ: أَطْرافُ النَّاسِ وأَتْباعُهُم. وخَشَعُوا: تَذَلَّلُوا.

(٨) خُورٌ: ضُعَفاءُ.

(٩) مُكْتَنِعٌ، أي: دان، يُقال: اكْتَنَعَ منه الموتُ: إذا دَنَا. وحَلْيَةُ: هو اسم موضع تُنْسَبُ إليه الأُسود يُروَى بالباء المنقوطة بواحِدَة من أَسْفَلَ، ويُروَى بالياء المنقوطة باثنتين من أَسْفَل وهو الصَّوابُ، والأَرْساغُ: جمعُ رُسْغ، وهو موضِعُ مَرْبِطِ القَيْد. وَفَدَعٌ: اعوجاجٌ إلى ناحيَةٍ.

(١٠) عَفْواً: يريد من غير مَشَقَّةٍ.

(١١) والسَّلَعُ: نباتٌ مَسمومٌ.

(١٢) صَنَعٌ: يُحْسِنُ العَمَلَ.

(١٣) شَمَعُوا، أي: هَزَلُوا، وأَصْلُ الشَّمَعِ: الطَّرَبُ، واللَّهْوُ، ومنه: جَارِيَةٌ شَمُوعٌ: إذا كانت كثيرة الطَّرَب. وينظر: ديوانه ص (٢٣٨)، والبداية والنهاية (٥/ ٥٢).

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد [من البسيط]:

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإِلٰهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال [من الطويل]:

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا ... إِذَا اخْتَفَلُوا عِنْدَ اخْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ[1]

بِأَنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ[2]

وَأَنَّا نَذُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا انْتَخَوْا ... وَنَضْرِبُ رَأْسَ الأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ[3]

وَأَنَّ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ ... نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الأَعَاجِمِ[4]

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال [من الطويل]:

هَلِ الْمَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى ... وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ؟[5]

نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ

بِحَيٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ ... بِجَابِيَةِ الْجَوْلاَنِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ[6]

نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا ... بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا ... وَطِبْنَا لَهُ نَفْساً بِفَيْءِ الْمَغَانِمِ

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا ... عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ[7]

وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا ... وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ[8]

---

(١) المَواسِمُ: جمعُ مَوْسِم وهو المَوْضِعُ الذي يَجتمع فيه النَّاسُ مَرَّةً في السَّنة، كاجْتِماعِهم في الحجِّ واجْتِماعِهم بـ «عُكَاظَ» وذي المَجاز وأشْبَاهِهَا.

(٢) دارِمٌ: من بني تميم.

(٣) المُعْلِمُونَ: الذين يُعْلِمُون أنْفُسَهم في الحرب بِعَلامةٍ يُعْرَفون بها، ويُرْوَى العالِمِينَ. وانْتَخَوا: من النَّخْوة وهي التَّكَبُّرُ والإعْجابُ، والأصْيَدُ: المُتَكَبِّرُ الذي لا يَلْوي عُنُقَه يميناً ولا شِمالاً، والمُتَفاقِمُ: المُتعاظِمُ، يُقال: تَفَاقَمَ الأمْرُ: إذا عَظُمَ.

(٤) المِرْباعُ: أخْذُ الرُّبُعِ من الغَنيمة يريد أنَّهم رُؤَساء. وَنَجْدٌ هنا: ما ارْتفع منَ الأرْض. وينظر البداية والنهاية (٥/ ٥٣).

(٥) العَوْدُ هنا، معناه: القَديم الذي يَتَكَرَّرُ على مَرِّ الزَّمان. وينظر ديوانه ص (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٦) الحَرِيدُ: الفَرِيدُ الذي لا يَخْتَلِط بِغَيْره، وجابِيَةُ الجَوْلاَنِ: مَوْضِعٌ بالشَّام، وأصلُ الجابِيَة: الحَوْضُ الكَبِيرُ وهو الذي يُسَمِّيه النَّاسُ الصُّهْرِيج.

(٧) المُرْهَفَاتُ الصَّوارِمُ: هي السُّيوفُ القاطِعةُ.

(٨) وَلَدْنَا نَبِيَّ الخَيْرِ: إنَّما قال ذلك حَسّانُ؛ لأنَّ أُمَّ عبد المُطَّلِب جَدَّ النبيّ عليه السَّلام كانت نَجّارِيَةً من الأنصار.

بَنِي دَارِمٍ لاَ تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ يَعُودُ وَبَالاً[1] عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ لَنَا خَوَلٌ مَا بَيْنَ ظِئْرٍ وَخَادِمِ[2]
فَإِنْ كُنْتُمُ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا[3] وَأَسْلِمُوا وَلاَ تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيِّ الأَعَاجِمِ

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس: وأبي، إنَّ هذا الرجل لمؤَتًى له[4]، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا.

فلما فرغ القوم أسلموا، وَجَوَّزَهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم[5].

وكان عمرو بن الأهْتَم قد خلفه القوم في ظَهْرِهم[6]، وكان أصغرهم سنًّا فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منَّا في رحالنا، وهو غلام حَدَثٌ، وَأَزْرَى به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم ـ حين بلغه أن قيساً قال ذلك ـ يهجوه [من البسيط]:

ظَبِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ[7] تَشْتِمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ
سُدْنَاكُمُ سُؤْدَدًا رَهْوًا وَسُؤْدَدُكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ [١١٠٩][8]

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه لأنه أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا

[١١٠٩] ينظر «تاريخ الطبري» (٣/ ١١٧ـ١١٩) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣١٦ـ٣١٧) و«البداية والنهاية» (٥/ ٥٢ـ٥٣) و«سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٨٩ـ٢٩٠).

---

(١) الوَبَالَ: الثقل.
(٢) هَبِلْتُم، أي: فُقِدْتُمْ، والظِّئْرُ: التي تُرْضِعُ وَلَدَ غَيْرِها، وقد تأخُذ على ذلك أجْراً، وأصْلُه: الناقَةُ تَعْطِفُ على وَلَدِ غَيْرِها.
(٣) النِّدُّ: المِثْلُ والشِّبْهُ. وينظر: البداية والنهاية (٥/ ٥٣).
(٤) لَمُؤَتًّى له، يقول: لَمُوَفَّقٌ له، من قولك: وَاتَاه الشيءُ: إذا وافَقه.
(٥) الجوائزُ: جمع جائِزَةٍ وهي العَطِيَّةُ.
(٦) قد خَلَّفه القومُ في ظهرهم، أي: في إبِلِهِم.
(٧) الهُلْبُ والهَلْباءُ: شَعَرُ الذَّنَب فاستعارَه هنا للإنسان.
(٨) الرَّهْوُ هنا: المُتَّسِعُ وهو بالرّاء، والنَّواجِذُ: الأسْنانُ، مُقْعٍ على الذَّنَبِ، يُقال: أقْعَى الكَلْبُ والذِّئْبُ: إذَا جَلَس على أليَتَيْهِ وَضَمَّ ساقَيْه ومَدَّ ذَنَبَهُ خَلْفَه. وينظر البداية والنهاية (٥/ ٥٣).

قِصَّةُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنِ قَيْسٍ فِي الوِفَادَةِ عَنْ بَنِي عَامِرٍ

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطُّفَيْل، وأربد بن قَيْس بن جَزْء[١] بن خالد بن جَعْفر، وجَبَّار بن سَلْمى[٢] بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساءَ القَومِ، وشياطينهم، فقدم عَامرُ بن الطفيل عَدُوُّ الله على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو يُريدُ الغَدْرَ به، وقد قال له قومُهُ: يا عامر، إنَّ النَّاسَ قد أسلموا فَأَسْلِمْ، قال: والله، لقد كُنْتُ آليت أن لا أنتهي حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبي أَفَأَنَا أتبع عَقِبَ هذا الفَتَىٰ من قريش؟ ثم قال لأَرْبَدَ: إذا قدمنا على الرجلِ فَإِنِّي سَأَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَهُ، فإذا فعلتُ ذلك فَاعْلُه بالسيف[٣]، فلما قدموا على رسولِ الله ﷺ قال عامرُ بْنُ الطفيل: يا محمد، خَالِّني[٤]، قال: «لاَ وَاللَّهِ حَتَّى (٢٦٥/ أ) تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَه» قال: يا محمد، خَالِّني، وَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ وينتظرُ من أربد ما كان أَمره به، فَجَعَلَ أَرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئاً، فَلَمَّا رَأَىٰ عامر ما يَصْنَعُ أربد قال: يا محمد خَالِّني، قال: «لاَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ له» فلما أَبَىٰ عليه رسولُ الله ﷺ قال: أَمَا وَاللَّهِ لأَمْلأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً ورجالاً، فَلَما وَلَّى قَالَ رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ» فلما خَرَجُوا من عند رسولِ اللَّهِ ﷺ قال عامر لأربد: ويلك يا أربد!! أين ما كنت أَمَرْتُكَ به؟ والله، ما كان عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ رَجُلٌ، هو أَخْوَفُ عندي على نَفْسِي منك، وَأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً، قال: لا أبالك، لاَ تَعْجَلْ عليَّ، والله ما هَمَمْتُ بالذي أَمَرْتَنِي به من أَمْرِهِ إلاَّ دَخَلْتَ بيني وبين الرَّجُلِ حتى مَا أَرَىٰ غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بالسيفِ؟ وَخَرَجُوا راجعين إلى بلادِهم، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعُونَ في عُنُقِهِ، فَقَتَلَهُ الله في بَيْتِ امرأَة من بني سَلُول، فَجَعَلَ يقول:

[١١١٠] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٥٥).

---

(١) قال الشيخ أبو ذر الخشني: أَرْبَدُ بنُ قيسِ بن جَزِي: كذا وقع هنا في الأصل، وَذَكَرَهُ أبو عُبَيْدٍ عن ابن الكَلْبيِّ فقال: ابنُ جَزْءٍ.

(٢) جَبَّارُ بنُ سَلْمَى: يُروى هنا بِفَتْحِ السِّين وَضَمِّها. والصَّوابُ فَتْحُ السِّين.

(٣) قال أبو ذر: يروى: فَاغْتَلْهُ بالسَّيْفِ، هو من الغِيلَةِ وهو قَتْلُ الرَّجُل خَدِيعةً، ويروى: فَاعْلُهُ بِالسَّيْفِ وهو معلوم.

(٤) قال الفقيه أبو ذر: خَالِّني: مَنْ رَواه بِتَخْفِيف اللاَّم فمعناه تَفَرَّدْ لي خَالِياً حتى أَتَحَدَّثَ معك، ومَنْ رواه: خَالِّني بتشديد اللاَّم، فمعناه: اتَّخِذْنِي خَلِيلاً وصاحِباً. من المُخَالَّةِ وهي الصَّداقةُ.